



ISSN:2800 – 1346
EISSN: 2830-8387
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/820


المجلد: 01، العدد: 02	ذي الحجة 1443ه/جويلية 2022م	الصفحات: 191–206

الطريقة المريدية وآثارها على المجتمع السنغالي خلال القرن التاسع عشر

The Muridyi way and its effects on Senegalese society during the nineteenth century

مهدي صفوان *

جامعة البليدة 2 (الجزائر)

em.sefouane@univ-blida2.dz

معلومات المقال	الملخص:
تاريخ الإرسال 2022/05/09 تاريخ القبول 2022/06/05 الكلمات المفتاحية: المريدية ؛ أحمدو بامبا؛ الطرق الصوفية ؛ السنغال؛ الاستعمار الفرنسي.	ظهرت الطريقة المريدية بالسنغال مع بداية القرن العشرين كطريقة صوفية مستقلة عن بقية الطرق الصوفية الأخرى، فهي طريقة صوفية سنغالية محلية، اعتبرها بعض المؤرخين فرعا من الطريقة القادرية، استطاعت تكييف منهج التصوف حسب عقلية الأفارقة، وقد عدها بعض المؤرخين حالة خاصة في تاريخ الفكر الصوفي الإسلامي، بحيث عرفت انخراطا لا مثيل له من طرف السنغاليين، خاصة وأن مؤسسها سنغالي وهو أحمدو بامبا، كما أن مبادئها جاءت موافقة للظروف التي كانت تمر بها السنغال، فكان لها آثار كبيرة على المجتمع السنغالي في مختلف المجالات، بل وأصبح لأتباع الطريقة نشاط حتى على المستوى العالمي في الكثير من الدول، وسنوضح في مداخلتنا الأثر الكبير للطريقة المريدية على المجتمع السنغالي ودورها الفعال في مختلف المجالات، من خلال التحكم في جزء كبير من الاقتصاد السنغالي، إلى التأثير على العملية الانتخابية والحركية الدينية والاجتماعية والثقافية بالبلاد.
Article info	**Abstract:**
Received: 2022/05/09 Accepted: 2022/06/05	The Muridiyya Order appeared in Senegal at the beginning of the twentieth century as a Sufi method independent of the rest of the other Sufi methods. It is a local Senegalese Sufi method, considered by some historians to be a branch of the Qadiriyya method. , so that it knew an unparalleled involvement on the part of the Senegalese, especially since its founder is Senegalese, Ahmedou Bamba, and its

*

principles came in accordance with the conditions that Senegal was going through, and it had great effects on Senegalese society in various fields, and even the followers of the method became active even at the level We will explain in our intervention the significant impact of the Muridiyya method on Senegalese society and its effective role in various fields, by controlling a large part of the Senegalese economy, to influencing the electoral process and the religious, social and cultural movement in the country.

Key words: Muridia; Ahmadou Bamba; Sufi orders; Senegal; French colonialism.

مقدمة:

كان لانتشار الطرق الصوفية الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء تأثير كبير وواضح على حياة المجتمعات بهذه المنطقة، فقد استطاعت أن تدفعهم إلى التخلي عن المعتقدات الإفريقية القديمة إلى تعاليم الدين الإسلامي التي أصبحت تطبق في شتى مناحي الحياة، وقد عرفت هذه المنطقة انتشارا واسعا للطرق الصوفية كالقادرية والسنوسية والتيجانية والتي قدمت إليها من بلاد المغرب الإسلامي.

لكن مع الانتشار الكبير لهذه الطرق و لتعاليمها استطاعت بعض الشعوب أن تنشئ لنفسها طرقا صوفية محلية، ومن بين هذه الطرق الطريقة المريدية التي ظهرت بالسنغال على يد أحمدو بامبا، مع بداية القرن العشرين وقد عرفت انخراطا لا مثيل له من طرف السنغاليين، وأتت بمبادئ جديدة تختلف عن الطرق الصوفية الأخرى، وكان لها بذلك تأثير كبير على المجتمع السنغالي، وتأتي هذه الدراسة لتبين مختلف هذه الآثار، ولمعالجة الإشكالية التالية : ما مدى تأثير الطريقة المريدية على المجتمع السنغالي في مختلف المجالات ؟.

1- ظهور الطريقة المريدية

1.1. أصل التسمية

يعود أصل تسمية الطريقة المريدية إلى مصطلح معروف في الفكر الصوفي ألا وهو " الإرادة " و التي يعرفها القشيري في رسالته بقوله : "بدء طريق السالكين، وهي اسم لأول منزلة القاصدين إلى الله تعالى، وإنما سميت هذه الصفة إرادة لأن الإرادة مقدمة كل

أمر، فما لم يرد العبد شيئا لم يفعله ، فلما كان هذا أول الأمر لمن سلك طريق الله عز وجل سمي إرادة تشبيها بالقصد في الأمور الذي هو مقدمتها ، والمريد على موجب الاشتقاق من له إرادة"،[1] فمصطلح "المريد" رغم تعدد معانيه (أنظر كتاب "عوارف المعارف"[2])، وكتاب مصطلحات التصوف[3])، فإنه يعبر باتفاق الصوفية عن مقام المبتدئ السائر في طريق القوم بصرف النظر عن انتمائه الخاص.[4]

وكما هو معروف في الفكر الصوفي فإن مصطلح المريد نشأ في مدينة بغداد، ويعني صدق توجه الإرادة نحو السير إلى الله سبحانه وتعالى، والصوفيون الأوائل قد استنبطوا هذا اللفظ من الآية الكريمة التي وردت في حق أهل صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول الله عز و جل : [واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا][5]، فالمريد لدى أصحاب الاتجاه الصوفي هو سالك الطريق عن نظر و استبصار وتجرد عن إرادته إذا علم أنه لا يقع في الوجود ألا ما يريد الله .[6]

وهناك من يرى أن تسمية الطريقة بالمريدية لم يكن من وضع الشيخ المؤسس و لا من الشيوخ الذين تخرجوا على يديه، إنما هو من وضع الدارسين و المؤرخين خارج حلبة هذه الحركة تمييزا لهم عن غيرهم، وذلك لكون الشيخ كان يعطي لمريديه أوراد الأشراف الثلاثة الشاذلي والجيلاني والتجاني، أو يعطي من أراد ورده الخاص، فكل حسب قابليته.[7]

وفي ذلك يقول الشيخ أحمد بامبا في كتابه مسالك الجنان:

فـــــكل ورد يورد المريدا … لحضره الله ولن يحيدا

سواء انتمى إلى الجيلاني … أو انتمى لأحمد التيجاني

أو لسواهما من الأقطاب … إذ كلهم قطعا على صواب

فكلهم يدعون المريدين إلى … طاعة رب العرش حيثما جلا

بالاستقامة فلا تسخر أحد   منهم ولا تنكر عليهم أبدا [8]

ويرى البعض أنه منذ بداية القرن العشرين الميلادي انتهى السنغاليون بهذه الصيغة (موريد) إلى تعيين مجموعة أتباع الطائفة الدينية الجديدة التي يقودها أحمد بامبا بصفة خاصة [9] ، ولعل في اتخاذ هذه التسمية تعبيرا عن اختلافها عن بقية الطرق الصوفية واستقلالها عنها ، و إرادة من أصحابها لجعلها الطريقة الجامعة لكل الطرق و المتممة لها، بحثا عن استقطاب أكبر عدد من المنتسبين في مجتمع تعددت فيه الطرق وكثر فيه الدعاة ، وسعيا إلى توحيد الكلمة بتوحيد الانتماء ، في زمن كثرت فيه تهديدات الاستعمار وانكشفت أساليبه في تغيير الانتماء الثقافي والحضاري للسنغاليين عن محيطهم الحضاري التقليدي.[10]

2.1. التعريف بها

هي طريقة صوفية أسسها الشيخ أحمد بامبا، وقد عرفها هو بنفسه من خلال أجوبته على أسئلة الحاكم الفرنسي في "أندر" الذي سأله عن أسس الطريقة فأجاب: " أسس الطريقة الإيمان بالتوحيد والإسلام بالفقه والإحسان بالتصوف"،[11] وهي طريقة صوفية سنغالية متفرعة من الطريقة القادرية، اتخذت معظم أتباعها من قبيلة الوولوف التي تسكن جنوب السنغال، تجذرت هذه الطريقة بين أفراد هذه القبيلة، حتى أصبح لفظ المريدي مرادف لمعنى الإسلام عندهم.[12]

رغم أن كلمة المريدية باعتبارها مصطلحا لم ترد في كتابات الشيخ أو في أحاديثه الشفهية المروية، لكنها مصطلح شاع إطلاقه على الطريقة الصوفية التي أنشأها الشيخ أحمد بامبا في بداية القرن الرابع عشر هجري، ويقصد بها المنهج التربوي الذي رسمه الشيخ أحمد بامبا لإحياء الدين وتجديد السنة النبوية المطهرة ، ويؤكد صحة هذا المفهوم قوله في بعض مؤلفاته مبينا مغزى دعوته الجديدة:

دين سوى إسلامه لا يحمد   عند الإله وبه نجدد

للمصطفى نويت ما يجدد   سنته الغراء وإني أحمد[13]

وهناك العديد من المؤرخين الذين يرون أن الطريقة المريدية هي فرع من الطريقة القادرية، لكنها انشقت وكونت طريقة مستقلة تضارع الطريقة التيجانية، وقد طورها الشيخ أحمد بامبا،[14]وكانت الطريقة المريدية في بداية أمرها فرع من الطريقة القادرية الواسعة الانتشار في المنطقة لكن اختلفت المريدية في بعض التفاصيل، وصار ورد الطريقة يختلف عن ورد القادرية حتى أنهم في صلواتهم جمعوا بين صلوات القادرية والتيجانية.[15]

فالمريدية إذن طريقة صوفية سنغالية محلية، وهي تعاليم إسلامية مصبوغة بعقلية قبيلة الولوف، وهي طريقة افريقية خالصة وليست مستوردة من المشرق كما في القادرية ولا من المغرب كما في التجانية، بل هي ابنة شرعية للتربة الإفريقية السنغالية بأعراقها وموروثاتها،[16] كما يرى البعض أنها نقابة عمالية اشتراكية واسعة، وهذا لتركيزها على الجانب الاقتصادي.[17]

3.1. ظهورها

اختلف الباحثون حول تاريخ تأسيس المريدية كحركة إصلاحية في مسرح العراك الإيديولوجي في الساحة السنغالية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وقد ذهب بعضهم إلى ما ذهب إليه الشيخ محمد البشير في كتابه منن الباقي القديم، حيث أرخ لظهور المريدية سنة 1310هـ/1893 ، بينما ذهب بعض الباحثين إلى ما أورده كتاب إرواء النديم حيث أرخ لظهورها سنة 301هـ/1884م، وهو عام إعلان الشيخ أحمد بامبا أمام طلبته دعوته التجديدية المتمثلة في فلسفة الخدمة.[18]

وهناك من أرجع تاريخ تأسيسها إلى عام 1886 عندما أسس الشيخ أحمد بامبا قرية طوبى في باول ، وتروي بعض الروايات أن الشيخ كان يبحث عن مكان ليؤسس فيه موقع الطريقة، ورأى في المنام أن هذا الموقع سيكون مكان بين حدود باول و الوولوف، ولذا فقد تجول في المنطقة باحثا عن هذا المكان ، وأخيرا جلس يصلي تحت ظل شجرة عام 1886 على بعد عدة كيلومترات عن مدينة مباكي ، وفجأة استغرق في النوم ورأى الرؤيا التي يرويها الأتباع بطرق مختلفة والتي تؤكد جميعها أن الشيخ أحمد بامبا قد جعل المكان نفسه الذي جلس فيه مقر للطريقة المريدية.[19]

وهناك من الباحثين من رأى أن ظهور الطريقة استغرق وقتا يمتد من 1888م عندما أعلن الشيخ عن فلسفة التربية بالخدمة إلى سنة 1904 م عندما كان بمنفاه بموريطانيا أين تلقى ورد الطريقة مباشرة من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم[20] ، وهناك من يرى أنها ظهرت سنة 1883 حين جمع الشيخ تلاميذه وأصحابه ، وبين لهم أن مهمته لم تعد مجرد التعليم النظري بل أصبحت تربية كل واحد بما يليق به فخيرهم بين البقاء والرحيل، وانطلاقا من هذا الموقف الصريح نشأت المريدية حركة إصلاحية في التربية والتعليم .[21]

2- مبادئ وأسس المريدية

1.2. العمل:

إن أبرز ما يميز الطريقة المريدية عن بقية الطرق الصوفية هي فكرة العمل، فقد اهتم الوولوف بالعمل ومجدوه ويطلق عليه بالوولوفية مصطلح " ليجي " – ligey-،[22] والمراد بالعمل هو النشاط الذي يقوم به الشخص بهدف الحصول على مردود مادي، وهذا المردود يمكن أن يكون عينا ويمكن أن يكون مالا، واستعمل الشيخ أحمد بامبا

مصطلحات مثل"كسب الحلال"، و"طلب الحلال"و"التماس الحلال" ولا يكاد يستعمل لكلمة العمل بهذا المعنى في كتاباته.[23]

وقد رفع زعيم المريدين مكانة العمل الشريف إلى صف العبادة، فربى المريدين على العمل العقلي واليدوي والكدح والكسب ليعيشوا أعزاء شرفاء يأكلون من عرق جباههم، واعتبر العمل الصالح معنويا كان أو ماديا شقا مكملا للعبادة الشعائرية سواء كان العمل فلاحة للأرض أو تجارة في منتجاتها أو صناعة لمستخرجاتها مادام يجرى على أحكام الإسلام ويتقيد بحدوده.[24]

فقد اختار أحمد بامبا طريق التربية للحفاظ على الهوية، والعمل للحصول على الثروة والاستقلال الاقتصادي عن الشركات الأجنبية التي سيطرت على المنطقة ودعا إلى طريقة جديدة تقوم على العلم إلى جانب العمل سمّاها المريدية، هي طريقة مثل الطرق الصوفية التي تدعو إلى العبادة والابتعاد عن ملذات الحياة والعمل للآخرة التي هي خير وأبقى، ولكن في العمل للدنيا عمل للآخرة ولا ينفي أحدهما الآخر ولا يعوضه.[25]

ولعل هذا التوجه نحو العمل الذي يعتبر ركيزة من ركائز الطريقة المريدية وعلامة من علامات النجابة عند أتباعها هو الذي ميزّها عن غيرها من الطرق التي كان توجهها نحو العبادة ، والمريد الناجح هو الذي ينجح في زيادة الإنتاج أكثر من غيره المتواكل ، وكان انتشار الطريقة يقاس بحجم المساحات التي جرى إحياؤها وزراعتها، وبعدد أكياس الفستق التي كانت تأتي إلى أسواق المدن السنغالية الكبرى،[26] إذا فالعمل له أهميته الخاصة في المريدية، وقد وصلت هذه الأهمية عند البعض إلى الظن بأنه يمكن أن يكون بديلا كافيا لإعفاء المريد عن العبادة، وهذا خطأ فادح فأقوال الشيخ وأفعاله وتقريراته كلها تفند هذه الظنون وتدحضها.[27]

فالإستراتيجية التي تبناها أحمد بامبا كان لها تأثير كبير على المستويات السياسية الاقتصادية الدينية والثقافية، فلقد كان الشيخ أحمد بامبا يعطي لأتباعه في بعض الأحيان رخصة بتأجيل أداة الصلاة بسبب العمل في زراعة الفول السوداني الذي كان يشكل ثروة اقتصادية مهمة، فقد كان يعرف كيف يفصل بين ما هو مقدس وما هو نافع اقتصاديا.[28]

فموقف المريدية من العمل تكمن وراءه فلسفة عميقة تجاوزت الكسب المادي، فهو وسيلة للكسب الحلال والضامن للاستقلالية وحرية التصرف ووسيلة فعالة لمحاربة البطالة والكسل وهما داءان مضران بالدين والدنيا، خاصة وأن بعض المتصوفة زعموا خطأ أن التصوف عكوف في المساجد والكهوف وتعطيل عن العمل بحجة الزهد والتوكل، فصحح الشيخ هذا المفهوم وجعل العمل أساسيا في الطريقة المريدية.[29]

2.2. الخدمة:

الخدمة مصطلح شائع في الأدب الصوفي عموما وفي الأدب المريدي على وجه الخصوص ويعني هذا المصطلح إيصال النفع إلى المسلم ابتغاء وجه الله، أو بعبارة أكثر شمولا النشاط الذي يقوم به الشخص لنيل مرضاة الله لا لمجرد عائد مادي يرجع على القائم بالنشاط والمصطلح الحديث الذي يرادف الخدمة هو العمل التطوعي الذي أصبح له دور بارز في علاقة الأفراد بأوطانهم أو في العلاقات بين شعوب العالم.[30]

وقد جعل الشيخ أحمد بامبا الخدمة كوسيلة في العبادة ، وقد تلقب بالخديم أو الخادم أي خديم رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد حث أتباعه على الخدمة، و من فروع الخدمة التي تحرص عليها المريدية وتحث عليها أتباعها الإنفاق في سبيل الله، فالمريد المتمثل لأوامر الشيخ من كسبه الحلال على ما يزيد عن حاجاته الأساسية يلبي نداء الشيخ بإنفاق المزيد في وجوه البر والخير ، مثل إطعام الفقراء والمحتاجين والمساهمة تنفيذ

المشاريع العامة، كبناء المساجد والمدارس ودور تحفيظ القرآن وإقامة المستشفيات وغيرها من كل ما فيه مصلحة عامة للمسلمين.[31]

ويدخل ضمن فروع الخدمة التركيز على تقديم الهدايا للشيخ المربي وخدمته، من ذلك أن هناك عددا كبيرا من المريدين يقضون سنوات في خدمة الشيخ وزرع حقوله لا غير، دون التفكير في تعلم مبادئ الدين أو العناية بالتربية الدينية،[32] لكن هناك من الكتاب من رأى أن طلب الشيخ للمريد بالخدمة في أعمال تخالف نشاطهم الأصلي فيه فائدة عظيمة، فكان يكلف بنسخ المصاحف والتدريس بعض من عرفوا أصلا بحرف مثل الدباغة والحدادة ويأمر في الوقت نفسه بعض أفراد البيوت العريقة في العلم والدين بأعمال التجارة ونحوهما، فجعل ما يأخذهم به تقرير واجبات الدين ومندوباته مباشرة الأعمال البدنية ليتحلل الكسل الذي يعتبر سبب للفساد الديني والدنيوي ولتذوب النخوة والتيه والعجب وهذا كله يدخل في صميم الطريقة المريدية التي تركز على تعلق المريد بشيخ يربيه.[33]

3- تأثير الطريقة المريدية على المجتمع السنغالي

3. 1 . سياسيا :

استغل الشيخ أحمد بامبا قوة طريقته من أجل جمع وتوحيد شعب الوولوف وقيادته نحو التحرر من التبعية الدينية والسياسية والاقتصادية ، ولتحقيق هدفه كان لابد عليه أن يجد اتفاقا مع السلطة القائمة و كانت سنوات الخمسينات و الستينات من القرنين الماضيين سواء قبل أو بعد الاستقلال السنوات الذهبية لعلاقة المريدية بالسلطة السياسية ، فكانت هذه الأخيرة تحمي مصالح الطريقة و شيوخ هذه الأخيرة يساعدون الإدارة و يدعموها ،[34] أما فيما يخص الدخول الفعلي للمريدية في العمل السياسي فكان في انتخابات سنة 1914 م عندما دعم أحد مشايخ المريدية وهو مامادو مصطفى

امباكي(1888م-1945م)المترشح "بليز ديان–Blais Diagne ، الذي يعتبر أول إفريقي في البرلمان الفرنسي، ضد منافسه كارنو-Carnot- ، ومن هنا دخل مصطلح جديد للمريدية في المجال السياسي وهو النديجل – Ndiggel- ويعني أمر الخليفة العام للمريدية بالتصويت لمرشح أو حزب معين في الإنتخابات.[35]

وكان دعم شيوخ المريدية للمرشحين في فترة الاستعمار الفرنسي واضحا، حتى أن ليوبولد سنغور استطاع الفوز في انتخابات عام 1951م ضمن حزب الكتلة الديمقراطية، بفضل دعم الأرياف التي تعتبر معاقل للمريدين، لذلك فاز في انتخابات 17 جوان 1951م التشريعية و البلدية في مارس من نفس السنة، والنيابية في 18ماي 1958م بفضل مساندة ودعم الطرق الصوفية خاصة المريدية.[36]

واستمر الدعم السياسي للمريدية للمرشحين السياسيين بعد الاستقلال، حتى أصبح الخليفة الثالث للطريقة المريدية وهو سيريني عبد اللهاب امباكي، بمثابة الناطق الرسمي لسكان الأرياف لدى الرئيس السنغالي ليوبولد سنغور لمدة اثنا عشر سنة بفعل دعمه له ، وتمكن من الحصول على عدة مشاريع في مدينته طوبى المقدسة ، كما أن هذا الخليفة أصبح المستشار المفضل للرئيس عبدو ديوف منذ سنة 1980 م ، وفي سنة 1988 م فإن الخليفة العام للطريقة المريدية دعا طلبته للانتخاب لصالح الرئيس المترشح عبدو ديوف على من خلال مقولته المشهورة وهي ((إن الذي لا ينتخب لصالح عبدو ديوف خلال انتخابات فيفري 1988 يكون قد خان الشيخ أحمدو بامبا)).[37]

2.3 . اقتصاديا :

تعتبر الطريقة المريدية طريقة للعمل و الإنتاج زراعة وصناعة وتجارة ، تراعي أحكام الشريعة و بفضلها أصبحت السنغال من أكبر الدول المصدرة للفول السوداني ،

كما تنتج حبوبا غذائية تكفي للاستهلاك المحلي و في ميدان الصناعة يحيي المريدين الصناعات اليدوية و الحرف التقليدية و الصناعات الخفيفة ، كما يشارك رجال الأعمال المريديين في شركات تجارية وإنتاجية بأسهم كبيرة، بينما يقوم الشيوخ بإصلاح الأراضي الشاسعة للزراعة و إنشاء قرى فلاحية في الغابات وهي لا تلبث أن تتحول إلى مدن يجمع سكانها بين الزراعة و التسويق.[38]

ولعل أهم ماميز الطريقة المريدية في الجانب الاقتصادي هو ارتباطها بزراعة الفول السوداني، حتى أصبح لفظ مريد مرادف لمزارع أو تاجر فول سوداني، وبدأ اهتمام المريدية بزراعة الفول السوداني بتشجيع من السلطات الاستعمارية الفرنسية، وهي من ساعدت شيوخ المريدية على نشر زراعته، حيث كانت الشركات الفرنسية تقوم بتوزيع البذور على الفلاحين على شكل قروض، رغم معارضة بعض شيوخ المريدية الذين أخذوا على عاتقهم تطوير هذه الزراعة بفضل المساعدات المادية للأتباع ، وكان إدخال الفرنسيين لزراعة الفول السوداني للسنغال لحاجتهم لصناعة الزيوت، فحلت زراعته مكان المحاصيل الزراعية الغذائية و احتل المريدون الصدارة في زراعته.[39]

ومهما يكن فإن ظاهرة تنامي الثقل الاقتصادي للمريدين في السنغال مستمرة و في اطراد ، فنسبة الأنشطة الاقتصادية في مدينة طوبا وحدها تفوق 60 ٪ من مجمل الاقتصاد السنغالي وتحولت طوبا من قرية تبعد عن العاصمة داكار 194 كلم إلى ثاني المدن السنغالية أهمية،[40] وتعد مزارع خلكوم للفستق من أكبر المراكز الاقتصادية بالبلاد و تساهم حتى في التربية و التعليم في السنغال إذ تضم خمسة عشر مركزا للتعليم المجاني للأطفال.[41]

3.3 . ثقافيا و دينيا :

أسس أحمد بامبا طريقة في التصوف ساهمت في ترسيخ قدم الثقافة العربية الإسلامية بالسنغال ، كما أسس إمبراطورية اقتصادية فاعلة في السياسة و حافظت على هويتها الإسلامية زمن الاستعمار،[42] كما ساهمت بشكل كبير في انتشار التعليم العربي الإسلامي ، فإلى جانب المدارس التقليدية التي تكون عادة مراكز للتعليم والعمل الفلاحي في المدن ، نجد مدارس حديثة في المدن الكبرى تقدم لطلبتها تعليما عصريا تعتمد فيه مناهج التدريس الحديثة مثلما هو الشأن في مؤسسة الأزهر الإسلامية بالسنغال و التي أسسها الشيخ محمد المرتضي امباكي أحد أبناء الشيخ احمد بامبا .[43]

وبذلك فقد أسس أحمد بامبا ما يعرف بالإسلام الأسود الإفريقي، وهو إسلام يعتمد على نفس القرآن المكتوب باللغة العربية، ويتبع نفس السنة النبوية بحذافيرها، لكن فيما يخص تطبيقها في الحياة اليومية للسنغاليين فقد أعطاها لونا محليا جديدا، لهذا فبعد الاستقلال وبمناسبة تدشين مسجد طوبى بعد إعادة ترميمه في يوم 17 جوان 1963، قال الرئيس السنغال ليوبولد سيدار سنغور كلمته المشهورة في حق أحمد بامبا: " لقد حاول أحمد بامبا تجذير الإسلام في أرض السودان من خلال أفرقنة الإسلام وسودنته".[44]

أما فيما يخص محاربة الطريقة المريدية لقضية التغريب، فقد كان رجال الطريقة و شيوخها أيضا يعترضون دائما على هذه القضية التي أصابت النخبة السنغالية بعد الاستقلال و ارتمائها بكل ثقلها في حضن الثقافة الفرنسية ، أي أنها كانت دائما تحاول تنصيب نفسها كمحارب للاستعمار والاستعمار الجديد بالإضافة إلى تصديها للتيارات اللائكية والإلحادية في السنغال .[45]

أما في جانب نشر التعليم العربي الإسلامي فالطريقة المريدية ركزت جهودها على بناء المدارس و المعاهد الإسلامية، كمعهد الأزهر للدراسات الإسلامية الذي أشرنا إليه

سابقا، والذي بناه الشيخ محمد المرتضي ابن الشيخ أحمد بامبا، ولهذا المعهد فروعا في أقاليم شتى بالبلاد السنغالية، ويستقدم المعهد معلمين مصريين من الأزهر الشريف، كذلك أنشأت الطريقة معهد الدروس الإسلامية بمدينة دريوبل، هذا إضافة إلى مشروع الجامعة الإسلامية بمدينة طوبى، حيث بلغت تكاليف هذه الجامعة الإسلامية الوحيدة من نوعها بغرب إفريقيا سبع عشر مليون دولار أمريكي، وقد نفذ من المشروع حتى عام 1404هـ/1984م ما يعادل سبعة ملاين دولار، وينتظر أن تظم الجامعة كليات مختلفة ومسجدا ضخما للطلاب ومساكن لهم مما يكون جامعة متكاملة.[46]

هذا إلى جانب المكتبة الإسلامية الضخمة التي أسسها الخليفة المريدي عبد الأحد امباكي، بمدينة طوبى ، حيث تضم هذه المكتبة الجميلة البناء والعمارة ، ما يناهز أربعين ألف كتاب في مختلف العلوم الإسلامية، ضمت إليها مجموعة من قصائد الشيخ أحمد بامبا في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد بلغت تكاليف إنجازها مئتين وخمسة وعشرون مليون فرنك سنغالي، ولا تبعد عن مسجد طوبى الذي يعد أيضا من حيث التصميم الهندسي والسعة من أكبر المساجد في إفريقيا[47].

الخاتمة :

من خلال هذه الدراسة نخلص إلى جملة من النتائج يمكن حصرها فيما يلي :

- التأثير الكبير للطريقة المريدية على المجتمع السنغالي في مختلف المجالات، بداية بالجانب الديني بحيث ساهمت في تعديل بعض جوانب المنهج الصوفي المعروف لدى بعض الطرق الصوفية وأتت بأوراد وأفكار جديدة، والجانب الاقتصادي الذي ركزت عليه بشكل كبير وجعلت منه محور اهتمامها حتى أن مدارس الطريقة كانت في أغلبها تقام في المزارع التابعة لأتباعها كما أن الكثير من أتباعها أصبحوا رجال أعمال كبار، وكل ذلك من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي و

الاستقلال الاقتصادي عن الاستعمار الفرنسي كطريق للاستقلال السياسي، بالإضافة إلى تأثيرها على الحياة السياسية بالبلاد وزنها في اختيار المرشحين.

- دور الطريقة المريدية في بعث روح العمل وتقديسه لدى المجتمع السنغالي، وهو ما حول مدارسها إلى مؤسسات اقتصادية وجعل من أتباعها رجال أعمال .
- الدور الفعال للمريدية في نشر الإسلام واللغة العربية حتى أصبحت لغة واسعة الانتشار في المجتمع السنغالي، وأصبح الكثير من أتباعها أساتذة ومعلمين في هذا المجال، خاصة من أرسل منهم إلى المشرق العربية أو المغرب العربي للدراسة بالجامعات الكبرى.

الهوامش:

---

[1]– نور الدين شعباني : **دراسات في تاريخ الإسلام و الأسر الحاكمة في إفريقيا جنوب الصحراء** ، ب ط ،نور للنشر، 2016 ، ص 95.

[2]– الإمام العارف شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي : (539هـ – 1144 م /632هـ – 1235م).

[3]– لابن عجيبة الحسني.

[4]– سرين امباكي فال : الخدمة عند الشيخ الخديم بين النظرية والتطبيق ، **رسالة لنيل شهادة المتريز** ، جامعة أنت جوب، 2008 -2009، ص27.

[5] – سورة الكهف: الآية 28 .

[6] – سرين امباكي فال: مرجع سابق، ص 26.

[7] – نفسه ،ص32 .

[8] – أحمد بامبا امباكي : **مسالك الجنان في جمع ما فرقه الديماني** ، **مسالك الجنان في جمع ما فرقه الديماني** ، نقلا عن الموقع الإلكتروني للمكتبة المريدية : (www.Almktabatoulmouridiya.wordpress.com)، أطلع عليه يوم 2018/03/07، ص19 .

[9] – محمد المختار جي : الفكر الصوفي عند الشيخين أحمد بامبا والحاج مالك سي ، **أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية** ، قسم الحضارة الإسلامية ، جامعة الزيتونة ، تونس ، السنة الجامعية 2005-2006، ص 114 .

[10] – محمد الأمين بن أحمد جوب الدغاني : **إرواء النديم من عذب حب الخديم** – تح وتع محمد شقرون ، مؤسسة الأزهر الإسلامية ، السنغال ، ب ت. ص 12.

[11]- محمد المرتضى امباكي فاط فال : **المريدية الحقيقة والواقع وآفاق المستقبل**، ب ط ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2011.ص99 .

[12] - بومدين عائشة : الدور الاقتصادي و السياسي للطريقة المريدية في السنغال (1895م-1970م)، **بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر**، جامعة الجزائر 2 ، السنة الجامعية 2013م-2014م.، ص 69 .

[13]- محمد المنتقى جتر: **المريدية حقيقتها ومبادئها**، محاضرة ضمن دائرة روض الرياحين، طوبى،14فيفري 2009، نقلا عن الموقع الإكتروني للمكتبة المريدية (www.Almktabatoulmouridiya.wordpress.com).، أطلع عليه يوم 2018/02/27 ، ص03.

[14]-عبد العزيز بن عبد الله: **معلمة التصوف الإسلامي** ،ج2 (التصوف المغربي من خلال رجالاته) ، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ، 2001 ، ص224 .

[15]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : **أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية** ، ب ط ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1990 ، ص 112.

[16] - سرين امباكي فال: مرجع سابق، ص31.

[17] - بومدين عائشة : مرجع سابق، ص70.

[18] - سرين امباكي فال : مرجع سابق، ص29.

[19]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: مرجع سابق، ص112.

[20] - Cheikh Anta Babou :**fighting the Greater Jihad-Amadu Bamba And The Founding The Muridiyya Of Senegal 1853-1913**, Ohio University press ,2007 ,p 77.

[21]-مجموعة من الباحثين المريدين : **دراسات حول المريدية**، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب، 2010.، ص12.

[22] - بومدين عائشة : مرجع سابق،ص78.

[23]- مجموعة من الباحثين المريدين: مرجع سابق ، ص90.

[24]- محمد المرتضى امباكي: **المريدية الحقيقة والواقع وآفاق المستقبل**، ب ط ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2011 ، ص29.

[25]- محمد شقرون: **الإسلام الأسود** ، ط 1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2007، ص64 .

[26]- نفسه ، ص65.

27– محمد المنتقى جتر : **المريدية حقيقتها ومبادئها،** محاضرة ضمن دائرة روض الرياحين، طوبى،14فيفري 2009، نقلا عن الموقع الإكتروني للمكتبة المريدية (www.Almktabatoulmouridiya.wordpress.com).، أطلع عليه يوم 2018/02/27 ، ص18.

28– نور الدين شعباني: **دراسات في تاريخ الإسلام و الأسر الحاكمة في إفريقيا جنوب الصحراء** ، ب ط ،نور للنشر، 2016 ، ص99.

29– محمد المنتقى جتر : مرجع سابق ، ص18.

30 – مجموعة من الباحثين المريدين: مرجع سابق ، ص91.

31 – محمد المنتقى جتر: مرجع سابق ، ص22.

32 – محمد المختار جي: مرجع سابق ، ص118.

33– مجموعة من الباحثين المريدين : مرجع سابق ، ص94.

34 – نور الدين شعباني : مرجع سابق ، ص 100.

35 – بومدين عائشة : مرجع سابق،ص139.

36 – نفسه، ص 142.

37 – نور الدين شعباني : مرجع سابق، ص 101 .

38 – محمد المرتضي امباكي : مرجع سابق ، ص 98.

39 – بومدين عائشة : مرجع سابق ، ص 123.

40 – عبيد إميجن : **التصوف السياسي في السنغال يدير البوصلة الحزبية** ، مقال ضمن الموقع الالكتروني لمركز الجزيرة للدراسات ، 2015/02/09 ، www.Studies.Aljaeera.net، أطلع عليه يوم 2018/03/05 .

41 – إبراهيم مصطفى : **الصوفية في السنغال ... نفوذ واسع و إمبراطورية سياسية واقتصادية** ،مقال إلكتروني، 2017/08/07 ، www.Alaraby.co.uk/invesigations.com، أطلع يوم 2018/03/05 .

42 – محمد شقرون : مرجع سابق ، ص 65.

43 – نفسه ، ص 104 .

44 – نور الدين شعباني: المرجع السابق، ص99.

45 – نفسه ، ص 104 .

46 – مهدي ساتي صالح : " مؤسسات التعليم الإسلامي والعربي في السنغال "، **منشورات المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم**، الإصدار رقم 07 ،1990م ، ص 18.

47 – مهدي ساتي صالح : المرجع السابق، ص 19 .